تأثير وعد بلفور

عزّز وعد بلفور ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني موقف الحركة الصهيونية، خاصة موقفها المتجاهل للفلسطينيين والمنكر لحقوقهم القومية. فقد نصّ الوعد على انشاء «وطن قومي» لليهود في فلسطين، متجاهلاً الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني، الذي كان يشكل الغالبية الساحقة من مجموع السكان. كان ماكس نورداو، ذو النفوذ الواسع في الحركة الصهيونية وساعد هرتسل الأيمن، اول من صاغ موقف الصهيونية من العرب الفلسطينيين، بعد اعلان وعد بلفور. ففي السنوات الثلاث التي تلت الوعد، وضع نورداو عدداً من المبادىء الاساسية، التي تلقّفها وطوّرها، فيما بعد، بنيامين جابوتينسكي، مؤسس الحركة التصحيحية.

دعا نورداو الى تعزيز وتطوير الاستيطان الصهيوني في فلسطين، بمنأى ومعزل عن سكانها الاصليين. وميّز بين المستوى العملي الذي ينبغي على الحركة الصهيونية اتباعه تجاه الفلسطينيين، وبين الموقف المبدئي حول السيادة في فلسطين وجوارها. على الصعيد العملي، حاول نورداو تهدئة العرب الفلسطينيين «وطمأنتهم» بأن الصهيونية لا تهدف الى اقتلاعهم، وذلك تحسّباً من اثارتهم ضد المشروع الصهيوني. امّا بخصوص الموقف المبدئي، فقد تشدّد نورداو في ادعائه بأن لليهود، فقط، الحق التاريخي والسيادة في فلسطين. ومن اجل «احقاق الحق التاريخي»، وبالتالي السيادة اليهودية على الارض الفلسطينية، دعا الى جلب اكثر من نصف مليون مستوطن يهودي، فوراً، الى فلسطين، كي يصبح اليهود اغلبية في البلاد. واضاف انه ما دام اليهود لا يشكلون اغلبية في فلسطين، وجوارها، فان «حقهم التاريخي» وسيادتهم على البلاد ستبقى حولهما علامة استفهام[٧].

تلقف بنيامين جابوتينسكي، مؤسّس وقائد التيار التصحيحي في الحركة الصهيونية ـ ذلك التيار الذي ناوأ التيّار العمالي وانشق عن المنظمة الصهيونية الأم وأسّس منظمة صهيونية موازية، لفترة من الزمن، وصعد الى سدة الحكم في اسرائيل منذ العام ١٩٧٧، تحت قيادة مناحيم بيغين، «تلميذ» و«خليفة» جابوتينسكي ـ آراء ماكس نورداو وطوّرها وعدّل فيها.

في العام ١٩٢٣، نشر جابوتينسكي مقالتين تحت عنوان «على الجدار الحديدي» و «اخلاقية الجدار الحديدي» أرسى فيهما اسس نظرية الحركة التصحيحية، وحدّد وجهة نظره تجاه العلاقة مع بريطانيا، والموقف من العرب، وسياسة الادارة الصهيونية.

اعتقد جابوتينسكي بأنه لا يمكن التوصّل الى اتفاق بين الحركة الصهيونية والعرب الفلسطينيين، لا في زمنه ولا في المستقبل المنظور، بالنسبة الى جيله، وذلك بسبب طبيعة الانسان ودروس التاريخ. فلم يحدث في التاريخ البشري أن وافق سكان أصليون بمحض ارادتهم على قبول مستوطنين من الخارج وتنازلوا لهم عن السيادة في وطنهم. وأكد ان هذا المبدأ ينطبق على العرب الفلسطينيين الذين يدركون اهداف الصهيونية، ومخاطرها عليهم، ويعارضونها، ويقاومون مظاهرها الاولية، في فلسطين[٨].

وسخر من اولئك الصهيونيين الذين اشترطوا تحقيق الصهيونية بالتوصّل الى اتفاق مع العرب، وناشدهم الاقرار باستحالة الحصول على ذلك الشرط، والاّ فعليهم التنازل عن الصهيونية. وطرح فكرته بحدّة اكثر، عندما اكد ان على الاستيطان الصهيوني امّا التوقف، او الاستمرار به دون لفت الانتباه الى موقف المواطنين الاصليين. ووصل الى بيت القصيد بتأكيده ان «بامكان الاستيطان التطور تحت حماية قوة غير مرتبطة بالسكان المحليين، خلف جدار حديدي، لا يمكن للسكان المحليين اختراقه»[٩]. وقد قصد جابوتينسكي بـ «الجدار الحديدي» القوة العسكرية اليهودية الرسمية.